الإبل في المنظور التشبيهي في نهج البلاغة

الاستاذ المساعد الدكتور
علي مطوري
جمهورية إيران الأسلامية
جامعة شهيد چمران - كلية الشريعة والمعارف الإسلامية

الإبل في المنظور التشبيهي في نهج البلاغة

الاستاذ المساعد الدكتور

علي مطوري

جمهورية إيران الأسلامية

جامعة شهيد چمران - كلية الشريعة والمعارف الإسلامية

المقدمة

تعد الطبيعة(الصامتة-والصائتة) إحدي أهم عناصر التصوير الأدبي،فالتصوير الأدبي هوشكل يبرز رؤية الأديب الخاصة تجاه الوجود، ويعمل علي تخصيبها كما أنّه يمكنه من استبطان التجارب الحياتية، ويمنحه القدرة علي استكناه المعاني استكناهاً عميقاً، مما يضفي علي إبداعه نوعاً من الخصوصية والتفرد. فالأديب الذي يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات والدلالات. فالأديب لاينظر إلي الطبيعة علي أنّها مجرد شيء مادي منفصلاً عنه وإنّما يراها امتداداً لكيانه فالإستعانة بالطبيعة للتعبير عن المعاني العميقة التي تجول في خاطر الأديب تحتم علي الخطيب أو الأديب أن يلبسها ثوب التشبيه، فالتشبيه يقوم بتصوير خلجات النفس التي لا تستطيع اللغة الاعتيادية الإفصاح عنها ، إذ يقربها من الأذهان ثم تنعكس دلالتها علي المتلقي فيتفاعل معها ومع الدلالة الكامنة فيها. فالمشابهة عملية تعبيرية تفقد طرفي التشبيه هويتهما الواقعية لتقيم على انقاضهما هوية جديدة هي الحاصل الدلالي الذي تسرب الى ذهننا جراء هذه العملية. فالتشبيه هو فن من الفنون الكلامية التي تشكل في البيان العربي عنصرا أساسيا من عناصر الإبداع قي عملية التركيب الجملي- فنجد إن المعنى القصدي للمبدع داخل النتاج لا يتم إلا به.

يعتبر التشبيه من العناصر الأساسية الفنية في خطب الإمام علي عليه السلام وقد اتخذت قوالب متنوعة لاتّسامها بالوضوح والدقة. لأنّ الصورة التشبيهية كما يقال

تضع قارئها أو سامعها قبالة منظر واضح المعالم ، بين التقاسيم ، بارز الأبعاد ، مجسّدة كل التفصيلات الداخلية بالألوان والمحسوسات الأخري .لذلك شبّه الإمام عليه السلام في كثير من المواضع المفاهيم والموضوعات الإجتماعية والدينية والأخلاقية والسياسية وغيرها بالحيوانات والطيور والكائنات البرية الأخري مما سهّل معرفتها ودركها للمتلقي ومكنه من استيعاب الذوق الفني الرفيع في صور الإمام وأفق خياله الجامح.

فالتشبيه في نهج البلاغة في كثير من الأحيان تمترس في الحقول الحسية وهذا طبيعي،لأنّ الحسية هي القوام الأساسي لأية صورة فنية شرط الا تحافظ على عمقها الواقعي الموضوعي،كما يقال وهي شديدة الحضور في مخيلة العربي تنتمي كلها إلى الصورة التي كونها عن العالم في ذهنه من خلال تجربته الحسية معه بما ثبت وبما تحرك وبالكيفية التي تتم بها الحركة، وبالغايات التي تسيرها وتحدد طريقها وتصبغها بصبغتها.لقد كان الإمام علي عليه السلام عالماً واسع العلم، وينبوعاً للحكمة والمعرفة وكان لديه إلمام فائق بجميع العلوم والمعارف لاسيما البلاغة.لأنّه كان ربيب النبِيّ وتلميذ مدرسة الوحي حتي قال عنه النبيّ محمد(ص):«أنا مدينة العلم وعليّ بابها» فالإمام كان منشأ البلاغة ومشروع الفصاحة وقال عنه جورج جرداق:«إنّ شروط البلاغة التي هي موافقة الكلام لمقتضي الحال لم تجتمع لعربي كما اجتمعت لعلي ابن أبي طالب»(جرداق، ١٤٢٤ه، ٢٩٢) فالبلاغة« تنثال علي لسانه انثيال الودق من سخيّ الغمام، بلغة تدل علي وحده. حتي لَيشعُر متلقيه أن اللسان العربي قد خلق لعلي عليه السلام وحده، بصفاته وتشابيهه وكناياته واستعاراته وبيانه وتبينه.»(البرادعي،١٩٩٧م، ١٦٠) إنّ البيان الموغل في خصوصيته، المثقل في كثافته يدل علي عليّ عليه السلام كما عليّ يدل عليه. وهو مزيج من إعجاز القرآن وقبسات محمد(ص) يتفجّر من بوتقة لا مثيل لها علي مرّ الحقب والأزمنة . يسمعها السامع فلا يمل ترددها، ولا يسأم إيقاع موسيقاها.(السابق، ١٦١) لقد ارتقي فيه الإمام علي عليه السلام مرتقي لم يبلغه خطيب، ولم يصل إليه متكلم أريب، فتق المعاني ودوخ الألفاظ، وحلّق في أفق اللغة،

آخذاً بزمامها وقد قال في هذا الشأن:«وانّا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غضونه» لقد صدق فكان كما وصف.

١-نهج البلاغة

يعتبر كتاب نهج البلاغة من أقدم النصوص العربية الإسلامية النثرية التي جاءت معبّرة عن رؤية شاملة عميقة للعالم وعلاقاته، بما فيها علاقة الإنسان بربّه وبالآخرين، وقد عدّ هذا الكتاب من الناحية الفنية من النصوص العبقرية التي جمعت عمق المضمون وجمال الشكل في كل ما ورد فيه من أنواع نثرية خطباً ورسائل وحكماً. ولعل هذه المزية المهمة جعلت نهج البلاغة ميداناً خصباً للدراسات الأكاديمية، اللغوية والأدبية منها والبلاغية والأسلوبية والتاريخية والدينية. فهذا الكتاب يتضمن ثلاثة أقسام من فنون النثر وهي(الخطب، والرسائل، والحكم) واتصفت نصوصه بمجموعة من الصفات التي ميزته من باقي النصوص البشرية، فالاستعمال اللغوي فيه كان استعمالاً متميزاً، وكان الاختيار فيه اختيار ملحوظاً حتي قيل إنّه«دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين»(ابن أبي الحديد،٢٤/١) وقد وصفه الشريف الرضي بقوله:«يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لايوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب،إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها، وعلي أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدم وتأخروا، لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي...»(صبحي صالح،٦)فضلا عن ذلك فإنّ النصوص الإمام صدرت عن تلك البيئة العربية الصافية التي لم تشهد التكلف والصنعة، ولاسيما في استعمال التشبيه مما سيجعله مجالاً طيباً وصالحاً، للبحث عن جماليات التشبيه في النثر الإسلامي العربي في عصر ازدهاره.

الخلفية التاريخية

فالنص النثري لنهج البلاغة تركة موروثة للباحثين وأصحاب الدراسات ينهلون منها ما شاءوا وليس تركة مقصورة علي كاتب أو باحث بعينه ولا تزال نصوص نهج البلاغة تفتح آفاقاً ورؤي جديدة تمنح الدارسين شوقاً ومتعة، ويستلهمون منها ما شاءوا من معان ودروس وعبر.وهناك مقالات وبحوث كتبت ولكنها لم ترتبط ارتباطا وثيقاً بما نرمي إليه في هذا المقال ومن أهمها:الصورة الفنية في كلام الإمام علي عليه السلام مجلة المنهاج العدد٥، ١٩٩٧ للباحث خالد محي الدين البرادعي.ومقال بررسي زيبا شناسي تشبيه در نهج البلاغة-حكتها- (جمالية التشبيه في نهج البلاغة) مجلة ادب باهنر كرمان العدد٢٨، ١٣٨٩ للباحث غلامرضا كريمي فرد ورضا نيكدل والتي لم تتطرق اطلاقا لما نحن بصدده بل تناولت موضوعات متفرغة ولم تسلط الضوء علي ما نرمي إليه في هذا البحث. ومقال لمحات من علم الحيوان في نهج البلاغة مجلة تراثنا العلمي، ١٩٨٧،للباحث جليل ابوالحب والتي تناولت الجانب العلمي البحت لبعض الكائنات المذكورة في نهج البلاغة. ومقال وجه التمثيل الشعري في نهج البلاغة مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية العدد١٣، ٢٠٠٨، للباحث عبدالواحد خلف وساك.ومقال دلالة المجاز اللغوي في نهج البلاغة مجلة كلية الآداب،العدد٩٧، للباحث مهند محسن عبدالرضا، ومقال تحت عنوان:تصوير پردازي هاي زنده در نهج البلاغة،مجله انجمن ايراني زبان وادبيات عربي(مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية العربية وآدابها)، العدد١٨، ١٣٩٠، للباحث مرتضي قائمي والذي لم يتناول في بحثه شيئاًعن بحثنا هذا.

٢-الصورة التشبيهية للحيوان في نهج البلاغة

قد أملت البيئة البدوية(الصحرواية) علي العربي القديم في تجربته الإبداعية الحظ الأوفر في تأمله للطبيعة «ليبثها آلامه ويفتن بها ويصورها تارة ببصره وآخري بقلبه، ويقف علي أطلال الديار، فتثير شجونه، وتملك عليه ا(لناقة والبعير والفرس) فؤاده، وتستهويه الصحراء بحيوانها ورمالها وآلها...(الركابي،١٩٥٩،

١١) ولا شك في ذلك إنّ المؤثرات البيئية لها الأثر البارز في خلق شخصية الأديب أو الشاعر.لذلك ومن خلال هذا التأثير نري الشاعر العربي القديم يرسم صورة لنفسه من خلال ناقته«فما صور الناقة في الشعر إلا رافدا لهذا المعني من النضال من أجل الحياة»(الأشتر،١٩٩٤، ٤٢٨)فالحيوان جزء مهم في الحياة، وأهم أجزاء الطبيعة الحية(الزيدي كاصد١٩٨٠، ٩ نقلا عن الحلي ٢٠٠٧، ١٧٤) عند الإنسان؛ لكثرة منافعه واستخداماته لديه في معظم جوانب حياته اليومية في السلم والحرب. وبما أنّ الطبيعة مصدر بارز من مصادر الصورة الشعرية، فإنّ صورة الحيوان كانت حاضرة لدي الشعراء والأدباء ورسموا الكثير من صورهم بالحيوان ورصدوا صفاته وتحركاته واستمدوا منه صوراً متعددة، فاللحيوانات طاقة أدركها الإنسان بحواسه المختلفة ليألف بعضها وينفر من بعضها، ويجري حواراً معها، فضلاً عن أنّها وسيلة لتناسي الهمّ، فعرف امرؤالقيس، وأبو دؤاد، وطفيل الغنوي، والنابغة الذبياني بنعات الخيل، وعرف غيرهم بنعات الإبل(القيرواني،١٩٩٥م، ٢٩٦/٢، نقلا عن السابق،٤) وبما أنّ الخيال كما يقال هو العنصر الأول والأساس في بناء الصورة الشعرية فقد عرف الإمام علي عليه السلام بالمخيلة الخلاقة والإحاطة اللغوية والمعرفية وسبر أغوار الخطابة وفنونها.

فاستعمل الإمام علي عليه السلام التشبيه -وهو سيد البلغاء والفصحاء -كوسيلة من وسائل التصوير البيانية فاحتل التشبيه حيزاً واسعاً من كتاب نهج البلاغة وهذه الكثرة الكاثرة من التشبيهات هي في الواقع محاولة جادة من قبل الإمام لتكوين عالمه الخاص بِهِ من خلال تسمية أشيائه بهذه الطريقة.وقد استقى الإمام علي عليه السلام كغيره من الشعراء والأدباء آنذاك لبنات صوره من الحياة ومن الطبيعة الصائتة والصامتة التى شكلته جسديا وشعوريا وسلوكيا، فكانت مصدر إلهامه، ومثار إحساسه، ومحركا لمشاعره، وكانت خير مترجم لأحواله، فالطبيعة بما فيها من جماد وحيوان...تبدو صامتة كما يقال فى عرفنا وعاداتنا وتقاليدنا، لكنها عند الأدباء والبلغاء غير؛ لأنهم أنطقوها وغيروا مفاهيمنا عنها، فأصبحت صامتة وصائتة، هادئة وغاضبة، فيها أمواج متلاطمة، يظهر فيها كل ما هو مخلوق في

هذا الكون العجيب والغريب والجميل.وترجع دقة الإمام وجودة قريحته عليه السلام في تشبيه الأشياء والهيئات والأشخاص بالحيوانات إلى الأخذ بسنة التدرج لتهيئة ذهن المتلقي بحصيلة وافرة عن بيئة النص دون تشتيت ذهني، فتبين عن اتجاه تفكير المبدع ومدى عمقه الذى يتميز بطلاقة أفكاره وتسلسلها وتنوعها وأصالتها من حيث جدة الأفكار المطروحة، وطرافتها، وإيجاد علاقات جديدة تربط بينها بالإضافة إلى دقته في اختيار ألفاظ الفكرة، وصياغتها بأسلوب جميل يحمل في طياته وعياً فنياً وقيماً تعيش في أذهان وقلوب المتلقين. فالتشبيه بالطبيعة والعون منها في كلام الإمام يدل علي خلود نهج البلاغه وعدم حصرها في زمان أو مكان خاص، فنهج البلاغة باقية مادامت الطبيعة باقية.

٣-التشبيه لغة

أشبه الشيءُ: ماثله، شابهه:أشبهه وشبّه عليه الأمر: أبهمه عليه حتي اشتبه بغيره، والشيء بالشيء:مثّله وأناب مقامه بصفة مشتركة بينهما"شُبّه"عليه، وله لُبِّس" وفي التنزيل العزيز:«وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم»(النساء:١٥٧) واشتبه الأمر عليه: اختلط وفي المسألة: شك في صحتها وتشابه الشيئان: أشبه كل منهما الآخر حتي التبسا وفي التنزيل العزيز:«إنّ البقر تشابه علينا»(البقرة:٧٠) فالتشبيه هو«صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان أياه□(القيرواني، ٢٨٦/١) إذا التشبيه هوالتمثيل وعند البيانيين:إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما. كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة(معجم الوسيط،مادة شبّه، ٤٧١)

٤- التشبيه في المنظور الأدبي

التشبيه هو فن من الفنون الكلامية التي تشكل في البيان العربي عنصرا أساسيا من عناصر الإبداع قي عملية التركيب الجملي- فنجد إن المعنى القصدي للمبدع داخل النتاج لا يتم إلا به .ظل فن التشبيه في المنتج الأدبي العربي علي مر العصور يشغل حيزاً كبيراً في أساليب بناء الصورة وفي جمال الابداع ونقل المعني، حتي قيل التشبيه هو من أشرف كلام العرب، وبه تكون الفطنة والبراعة

وفيه اتساع وتقريب وتأكيد ولذلك كان التشبيه يكثر في كلام العرب(نقلا عن عبدالهادي، ٢٠١٠، ٦٢) وقيل إن ما يقصد بالتشبيه هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة او أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة او مقدرة. وقد انتشر التشبيه في اللغة و اهتم به العرب القدامي و جعلوه احد مقاييس التميز الادبي ، كما أنَّ غاية التشبيه ليست مجرد بيان لصفة ، وانّما هي إثارة الوجدان لتؤدي العقيدة غايتها. فالتشبيه هو أسلوب من أساليب تصوير المعني بطريقة فنية، يعتمد علي قوة الطبع ودقة الملاحظة وسعة المخيلة والإدراك العقلي المتميز، ويعمل علي تقرير المعني في نفس المتلقي وتفخيمه والمبالغة فيه(الجرجاني، ٧٨) وتتجلي جمالية التشبيه عند عبدالقاهر الجرجاني في حديثه عن التشبيه الخفي الذي يقوم علي ضرب من التأوّل والتقدير ويحتاج في استخراجه إلي قدر من التأمّل والتقدير وطريقة معرفة الشبه فيه هو العقل والاستنباط والرؤية. كما تجسدت أيضاً في ندرة وقوعه، لما يتوفر عليه من قوة التأثير في النفس وقدرته علي تحريك دواعي سرورها وانبساط أساريرها، بما يدفع إلي تحقيق الاستجابة المطلوبة، من جهة المتلقي لإجراء التعديل السلوكي المرتقب.(السابق، ١٢٧)اذاً التشبيه صورة رائعة بواسطتها يوضِّحُ الأديب والفنان عن شعوره وما يلامس خلجاته نحو شيئاً ما حتي يحس السامع بما أحس بِهِ المتكلم ، فهو ليس دلالة مجردة ولكنَّه دلالة فنّية و لهذا عُدّ التشبيه أشرف كلام العرب ،لانّه يزيد المعني ايضاحاً و تصويراً أو تاكيداً، ويفعل في النفوس تحريكاً و ترغيباً ويصورعالماً يلبس الحياه فيه الجماد ، ويتلاقي علي مسرحه الاضداد فهو بيان يموج بالقوه و البراعة ، و يفور بالوضوح و التشخيص ، ويمتاز بالايجاز و المبالغة (الفاضلي ، ١٣٨٨ هـ، ص١٤١) فالصورة التشبيهيه« قد تولد أكثر مِن التحديد و التعقيد، وقدتري فيها مالايراه الآخرون» (عيد ، لا.ت ، ص٢٦٢) ومن خصائص التشبيه الدلالية زيادته المعني وضوحاً وتوكيداً ومبالغةً(الآمدي، ١٩٧٢، ٢٧٠)، فضلا عما يفيده من الإيجاز والاختصار في الكلام ولكي يؤدي التشبيه تلك الأمور فلابد من ملاحظة طرفين التشبيه في تحقيق المستوي المطلوب من الالتحام

والامتزاج (القيرواني، ١٩٧٢م، ٢٧١/١)وهنا لابد من الإشارة إلي دور الأديب، الذي يعقد تلك الصور التشبيهية من خلال شعوره ووجدانه، فلا ينظر إلي الأشياء بذاتها كما تبدو في الخارج، وإنّما ينقلها من خلال الشعور بها فيكون التشبيه عندئذ حدثاً لغوياً وعملية ذهنية عمادها التخيل وتصوير التجربة(السكاكي،١٩٣٧، ١٩٥)وفي التشبيه تتكامل الصور الفنية، وقد تتدافع المشاهد البيانية في إبراز بلاغة الشكل ودلالة المضمون(الصغير،د.ت،٧٨).وذلك أن في التشبيه الصائب «دلالة علي مساهمة أمر لآخر في معني(القزويني،١٩٨٩، ٣٢٨) وهذه المساهمة هي التي اعتبروا فيها الشبيه معياراً نقدياً للتفاضل بين الشعراء، فالعرب تسلم السبق«لمن وصف فأصاب،وشبّه فقارب»(الجرجاني، ٣٣) وذلك بدقة استعمال وجه الشبه في إرادته علي إصابة المعني المراد فيما له تأثير في النفس. وعلي هذا فاللمحة المبتكرة المناسبة في وجه العلاقة بين المشبه والمشبه به ينبغي أن تكون متوافرة، لتزيد من إيحائية النص الفنية.

٥-الإبل

احتلت الإبل من نفوس العرب مكانة مرموقةً لا تكاد تعدلها أو تدانيها منزلة أي شي آخر اللهم إذا استثنينا الخيل، وليس أدل علي ذلك من أنّها تُسمّي بالمال، فكلمة المال إذا أطلقت في كلام العرب أريد بها الأبل. فكانت الإبل رفيقة للإنسان العربي منذ القدم ، فهي سفينته عبر الصحراء، وقد طوي علي ظهرها الفيافي والقفار، وأدلج الأصقاع والأمصار، وهي شريان حياته النابض في مواصلاته وتنقلاته، فنجدها طوع أمره، ويوجهها بصوته كيف يشاء، ويطربها بغنائه إن غنّي، ويجذبها بصوت حدائه، تستجيب لندائه فرحة مسرورة، إذا صاح راعي الإبل تجمعت حوله أقاصي مرعاها، وكأنّه ينادي جنوداً طيعين، وتحيط به إحاطة السوار بالمعصم فتنتظر أوامره وتوجيهاته.(الشهاوي،٢٠١٢ ،٢) وعندما جاء الإسلام اعتبر الإبل ثروة عظيمة وعزّ لأصحابها فقد قال المصطفي(ص): الإبل عز لأهلها»(نقلا عن السابق،٦)فلم تكن (الإبل-الناقة) مجرد حيوان في العصر الجاهلي،فقد احتلت مكانة سامية عند العرب بلغت حدً التقديس وعرف

العرب فيها معاني الخصوبة والورود والسقيا. وقال تعالي«ناقة الله وسُقياها»(الشمس:١٣) وشبهوها بالمرأة وقالوا في القلوص« إنَّها الشابة من الإبل، فنعموها كما تنعم الفتاة الكعاب»(الطيب، ١٩٧٠،ج٣، ١١) فاقتران المرأة المثال بالناقة رمزياً يتضح اكثر عندما ترحل الحبيبة ديارها وتنأي عنها لانَّ الشاعر يجد فيها ملاذاً آمناً تعمل علي انتشاله من همومه واحزانه وكأنَّه أم تحتضنه وترعاه(معروف وعبيات،١٣٩٠ ،٨)لقد«فتنت الناقة، الشاعر الجاهلي فتنة بعيدة فوقف يتأملها ويردد بصره فيها ويتحدث عن علاقتها بِهِ وموقفه منها، ويفيض في الحديث عنها في أحوالها جميعاً أطراف اليل وآناء النهار، وكأنّما هو يتغزلُ بها»(رومية،١٩٧٥، ٦٢) وكان الجمل منذ القدم موضع القصيدة والحكاية، بجلده وصبرِه يضرب المثل وكان ملهماً للشعراء والأدباء في القدرة علي الحركة وسط الظروف الصعبة والصبر علي الجوع والعطش والتكيف وسط الظروف الصعبة، فكانت العرب كما يقال تنظر إليه ليلاً ونهاراً، ويصاحبونه ظعناً وأسفاراً، لذلك ذكرهم الله بعظمة هذا الحيوان في سورة الغاشية بقوله:«أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت»(الغاشية:١٧) فكان أجمل أعز شيء عند العرب فكانت مطاياهم التي يرحلون عليها ويأنسون بها في قطع الصحاري، فمع خطواتها نشأت موسيقي الشعر العربي ومع الحداء لها وُلدت البحور الشعرية»(معروف، ٢٠٠٥م، ١١٤) وفي الحديث:«لا تسبُّوا الإبل فانّ فيها قوء الدّم ومهر الكريمة أي تعطي الديات فتحق بها الدماء»(المجلسي،ج٦٤،ص١١٠، نقلاً عن المصدر السابق، ١١٤) وقد أكثروا التمثيل بها فقالو:«ضَربه ضرب غرائب الإبل» يضرب مثلاً لشدّة الظّلم ، وغيره من المكاره(الميداني،ج٢: ٢٦٠)، ومنه أيضاً قولهم:«أرعوا لها حوارها تقرُّ» والحوار بالضم ولد الناقة(معجم الوسيط، مادة حور) وهو يضرب مثلاً لإغاثة الملهوف بقضاء حاجته ليسكن، وأصله أنّ الناقة إذا سمعت رُغاء حُوارها سكنت وهدأت(الميداني،ج٢: ٣٣) وقيل أيضاً:«أحقد من جمل»(العسكري، ١٤٢٤ه، ٣٤١)فالجمل معروف بالحقد، خاصة في أيام الضِّراب، فالأمثلة حول الإبل كثيرة جداً في الأدب العربي وهذا المكانة العظيمة

التي حظي بها الإبل عند العرب جعلتهم يصورونها ويرسمونها منها لوحات فنية دقيقة سجلّت صورة رائعة تنبع من أعماق النفس البشرية ويطال الخلجات العاطفية علي حد قول"حنّا نصر الحتّي" فأول ما عمدوا عليه تأليف كتب حول الإبل مثل: كتاب الإبل للأصمعي وكتاب الإبل لإبي عبيد القاسم بن سلام وغيرها.فاهتمام العرب بهذا الحيوان يدل علي مدي اتصال حياة العرب بهذا الحيوان الأليف.

ومن هذا المنطلق ركز الإمام علي عليه السلام في تشبيهاته علي هذا الحيوان بشكل مثير للغالية لإيصال رسائل هامة تمحورت وظائفها في غايات اجتماعية ونفسية وتحريضية، وعاطفية وجمالية وفنية. فاستثمر الإمام تلك الدلات النفسية والمعطيات الدلالية لإيصال مفاهيم وأشياء عقلية التي لايمكن أن تدرك بالحواس بغية تقريبها للأفكار وتوصيلها للأذهان. فكانت قدرة الإمام في خلق التشبيهات من ذلك الحيوان والحيوانات الأخري هي قدرة ابتكارية توليدية باهرة تولد بشكل متكامل في تأدية الغرض المناط بها.وبنا ء علي ذلك فالنص التشبيهي ـ في نهج البلاغة ـ ليس قطعة بلاغية ذات جمال مجرد، كما يقال بل هو وظيفة مُتقَنة، إنه ثمرة التزاوج الطبيعي بين البلاغة والأفكار، والذي ترتّب عليه إنجاب أفكار جديدة، واستحداثات لغوية وبيانية جديدة. فاختيار الإمام عليه السلام للطبيعة وحيواناتها جاء في إطار الخصوصية لكل حيوان ومراعاة صفاته وحالاته، بهدف تحقيق الغاية المنشودة ومن خلال هذه الصفات والخصائص لدي الحيوانات المختلفة تتخذ الصورة التشبيهية أشكالاً بلاغية مختلفة ومتميزة تستطيع من خلالها تصوير الحقائق الفكرية المجردة وتحديد المعاني الغامضة وفهم ما تمضمنته من رسائل وقضايا ولاشك في ذلك أن هذا الأسلوب أكثر امتاعاً وروعة للنفس.

١-٥-الدلالة التحذيرية

قال الإمام علي عليه السلام « كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَ لَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ»(شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد٨٢/١٨) شبّه الإمام علي عليه السلام في هذا النص بناء علي وصيته المتوخي من الفتن بأبن اللبون، فاللبون هو ولد الناقة

الذكر، إذ استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة فالإمام عليه السلام رغم درايته البالغة بالفتنة وما ينتج عنها من إفرازات ومآسي وخيمة راح يوصي الناس بتوخي الحذر من الوقوع في الفتنة لذلك طلب من الناس أن يكونوا دوماً في كل زمان ومكان كأبن اللبون الذي لا يمكن استغلاله وتسخيره للفتن وهذا القول الرائع والتشبيه المثير نحن أحوج إليه اليوم من كل زمان حيث الفتن تكثر حولنا.فجاءت هذه الحكمة والتعبير الحيّ وفق هندسة إيقاعية بنيت علي مبدأ التشابه الصوتي والاتزان اللفظي، وقد تعاضد هذا البناء الشكلي المحكم مع المستوي العميق للنص، إذ تعانقت أجزاؤه دلالياً، فالظهر والضرع جزءان من جسم ابن اللبون، وبذلك فهما جزءان من الصورة التي انتهجتها الفكرة الرئيسية في الحكمة. فتلحظ الجمالية الفنية في هذه العبارة المثيرة للإعجاب من خلال الإتكاء علي جرس الألفاظ التالية(ظهر-ضرع-ركب-حلب) يتعانق فيه الصوت مع الصورة لتشكيل لوحة فنية دلالية غاية في الجمالية والتنسيق الدلالي.

وكل هذه التلوينات تعاضدت معاً لإبراز الأثر التوظيفي لها في هيكل السياق الدلالي في هذا النص بما يُمَكِّن من تعضيد فكرة الاقتراب من فهم السياق.وقد استطاع هذا الاستعمال البديعي والتشبيهي أن يأتي بصيغة بنائية مؤثرة ومركزة، لها حضورها في السمع والذاكرة، إذ يمكن استحضارها في أي مقام مشابه، وبذلك تكون الحكمة قد تعدّت زمانها ومكانها، ليمتد أثرها في جمهور المتلقين من ثقافات متعددة وخبرات متباينة.

٢-٥-الدلالة التربوية

وصّي الإمام علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام قائلاً:أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً وَ رَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَ أَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَ فِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ(نهج البلاغة،٣٩٤) وفي هذه الوصية الرائعة من قبل الإمام علي عليه السلام لإبنه الإمام الحسن عليه السلام شبّه نفس الصبي التي تنمو وتشب علي مواكبة

الهوي وركب القوي الشهوانية بالإبل النفور الذي يصعب علي صاحبه ترويضه،فالجامع بينهما صعوبته حمل تلك النفس إلي جادة الصواب وجذبها نحو الحقّ كما يصعب قود الجمل النفور وتصريفه بحسب المنفعة. وهذا التشبيه الحسي يعتبر من النوع المفرد-المفرد المقيد والمرسل المجمل وفائدة هذا التشبيه تكمن في بيان حال المشبه وفي هذا التشبيه تكمن دلالات تربوية وهي ضرورة القيام بتربية الطفل وتنشئته علي المبادي السامية والأحكام النورانية وإبعاده كل البعد عن الشهوات والشبهات والأمور الباطلة ومخالفة الحق.لأنّ النفس إذا تربّت علي مخالفة العقل ستنبت فيها بذور الشرّ والطغيان ومعاودتها علي فطرتها السلمية بعد فوات الأوان تكون صعبة ومتعبة جداً.

٣-٥-الدلالة الإحتجاجية

وصف الإمام علي عليه السلام المشهد والحالة التي تدافع الناس عليه للبيعة بعد مقتل عثمان هكذا:

«فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَ قَدْ أَرْسَلَهَارَاعِيهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ(ابن أبي الحديدج٤، ص٦)شبّه الإمام علي عليه السلام تدافع الجماعة والحاحهم وحماسهم عليه بقبول الخلافة بالإبل العطشان يوم وردها، فجمالية التشبيه تكمن في علاقة الجزء بالكل، فالإمام(الراعي) جزءا من المجموع، وكذلك يكون الأتباع(الإبل) جزءاً من مجموع أكبر أيضاً، وكذلك يكون بعض الجماعة جزءا من الجماعة(الإبل) وهذا التقابل بين المشبه والمشبه به يعطي صورة مضطربة تجسدت أولاً:في تدافع وتزاحم الجموع كادت أن تنتهي بقتل الإمام لشدّة هيجانها وغليانها وتزاحمها وثانياً:تدافع وتزاحم بعض الجموع كادت أيضاً أن تدوس بعضها بعضاً. فالصورة الوليدة من هذا التشبيه تدل علي الإضطراب والهرع والفوضي العارمة والهرج غيرالمألوف لدي الجماعة. فهذه الصورة تشبه إلي حد كبير صورة المطر الهاطل فإذا نزل بمقدار كان خيرا وخصباً، وإذا طغي كان شراً،

وقد دعمت هذا المعني الصورة التشبيهية ذات التشبيه التمثيلي الحركي،المحذوف الأداة، وهو مايعرف عند البلاغيين بالتشبيه البليغ(مطلوب:١٤٥) .

والتشبيه (الجماعة)بالإبل الهيم يوحي بقلة وعيهم وفطنتهم لكثرة فزعهم فالصورة موغلة في البدواة وبه قد وصف القرآن أهل جهنم إذ قال تعالي:«فشاربُون شُرب الهيم»(الواقعة:٥٥) فالصورة الوليدة من التشبيه توحي بأن مجيئهم في الغالب لم يكن عن قصد وفطنة بقدر ما كان ثورة علي الظلم.وبذلك حقق التشبيه الأثر الجمالي في المتلقي في إيصال دلالة قابلة للتلوّن والتعدد. فضلا علي ذلك استثمر الإمام علي عليه السلام في هذا النص ما يعالج جانب الأداء النطقي (فَتَدَاكُّوا – تَدَاكَّ)فيما يتمثل في التلوين بالفصاحة اللفظية على مستوى المفردة ثم التركيب والإيقاع الجمالي بما يحويه من استثمار فريد لمعطيات اللغة العربية من ائتلاف الأصوات على نحو موسيقي يُراعي المخارج المتنوعة للصوت فهذه التلوينات تتعاضد معاً لتشكيل منظومة جمالية تمنح النص جمالاً وثراءً.والتشبيه أيضاً يتضمن تصويراً كنائياً والغرض منه هو«الاحتجاج علي المخالفين بأنّ الأمة بايعته مختارة»(التميمي، ٢٠٠٤، ٥٦٧) لعدم قبول الإمام بالخلافة ولكن عندما بلغت الحجة قبلها بشرط أن تطيع الأمة أوامره وتذعن له في القيام بأعباء الحاكمية لله عليهم.وجاءت صورة التشبيه المفرد بالمفرد في قول الإمام علي عليه السلام:ترغو زبداً كالفحول عند هياجها» فقد صوّر الإمام هيجان الماء وسرعته بصوت فحل الإبل عند إقباله إلي مجابهة خصمه أو إزاحته وابعاده عن المباضعة. فالصورة الحاصلة هي تشبيه تمثيلي مفصل فالجامع بينهما الكريات البيض التي تخرق الهواء.

٤-٥-الدلالة التحريضية

و من كلام له (عليه السلام) في بعض أيام صفين :

«وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَ انْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَ أَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ يَآفِيخُ الشَّرَفِ وَ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ وَ لَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ وَ

تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ وَ شَجْراً بِالرِّمَاحِ تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَ تُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا □(نهج البلاغة ١٥٧)

راح الإمام علي عليه السلام في هذا النص يبحث عن المجسات المثيرة التي تدفع قوماً ما في الإقدام والمبادرة ، إذ صوّر الإمام عليه السلام في هذا المقطع بطولات اصحابه في طرد العدوّ (جيش معاوية)عن مواضعه حتي خلّفت هذه الصورة شفاءاً لوحاوحيه صدره.حتي شبّه جيش معاويه ومعنوياتهم المهزوزة وانكساراتهم وإزالتهم عن مواقفهم بالإبل الهيم المطرودة وقيد المشبه به بهذه العبارة ترمي عن حياضها، وتذاد عن مواردها وذلك حساً بالنصال وشجرا بالرماح، فجمالية استدعاء الطبيعة الحيوانية(الإبل الهيم) علي حدقول أحد الباحثين المعاصرين في هذه الصورة تكمن أولا:بالسلوك الغريزي الذي بات يحرك جماعة هذا الجيش(معاوية) دون العقل. ويردف الابل بصفة تخصها (الهيم) تعبيرا عن مقدار الشحن الذي شحنت به تلك الغرائز. ثانياً: لا يكتفي الإمام علي عليه السلام بهذه الصفة، ولكنه يشفعها بصفة اخرى هي (المطرودة) ليقيم داخل نفوس تلك الابل صراعا بين غريزتين:غريزة الشوق الشديد الى الماء التي تشدها اليه، وغريزة الخوف الشديدالتي تدفعها عنه خصوصا وان عملية الطرد قد تمت من خلال تركيبين: (ترمى عن حياضها) و(تزاد عن مواردها)، اي باستخدام وسائل العنف، فاذا باولى تلك الابل تركب اخراها.مختصر القول ان مجمل ابعاد هذا التركيب الدلالية قد عملت على انتاج الدلالة المترتبة على قراءة علي عليه السلام لوضعية ذلك الجيش المهزوم. ولا تكتسب هذه القراءة خصوصيتها من انتمائها الى عالم دون سواه، فعملية التراكب المفصحة عن الهلع الشديد الذي انتاب ذلك الجيش، والابل الهيم المطرودة التي تفصح عن السلوك الغريزي الطائش الناجم عن صراع الغرائز داخل النفس: ما شحنت به من رغبة، وما صدعها من رهبة، انما تتجاوب الى حد قوي وشديد مع ما يريد الامام عليه السلام ان يشفيه من وحاوح صدره، ولا يكون الا حسا بالنضال وشجرا بالرماح.

٥-٥-الدلالة السلطوية

وصف الإمام عليه السلام بدقة وإمعان حالة بني أميه في زمن عثمان ومابعده بعد أن تقلدوا الكثير من المناصب وفي ذلك العهد هكذا:«قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ»(نهج البلاغة، خطبة الشقشقية) صوّر الإمام عليه السلام حال الثالث وما فعله بنو أمية وما كانوا عليه من نهب ونهم وقد خضموا مال الله والمسلمين خضمة الإبل نبتة الربيع، فلقد شبّه الإمام علي عليه السلام نهب وسلب بني أمية لمال الله وبيت المال بالإبل الجائعة(المشبه به المفعول المطلق) وقت الربيع فهي تخضم النبات الطري بكل شراهة وشراسة. وفي المثل:«آكل من معاوية ومن الرّحي»(الميداني، ج١: ٨٧) وذلك أنّ معاوية كان معروفاً بالنّهم والرغب، حتي كان يقول بعد استيفاء الكثير من الطعام ما شبعنا ولكنّا مللنا. وفي ذلك قال الشاعر:

وصاحبٍ لي بطنُهُ كالهاوية كأنّ في أمعائه معاوية

وهذا الوصف التشبيهي الرائع من قبل الإمام علي عليه السلام يدلّ علي جرأة القوم وشراستهم علي أكل مال الله بزعامة معاوية، وأموال بيت المال سهلاً طرياً. فقد حذف في النص كاف التشبيه أو ما يرادفها، ليكون تقدير الكلام كخضبة الإبل، ولعله أراد بهذه الدلالة توجيه الأذهان علي مدي شراهة بني أمية في نهم ونهب أموال المسلمين.ولكي يسلط الإمام الضوء علي هذه الحقيقة جمع بين خضم ونبتة ،فالخضم« هو الأكل بجميع الفم»(معجم الوسيط،٢٤٢) وهو غير قضم إذ يوحي صوت القاف بالشدة، بينما يوحي الخاء بالرخاوة«فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء...والقضم للصلب اليابس...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس»(ابن جني، د.ت، ١٥٨)يتوالي التشبيه بالجمل والإبل والناقة في نهج البلاغة في كثير من المواضع -فأفرزنا مقالاً خاصاً بهذا الحيوان وحالاته في كلام أمير المؤمنين عليه السلام-بحيث بين الإمام الكثير من الحالات والمواقف عبر هذا الحيوان وطبيعته المعهودة، حيث قال في إحدي خطبه لإبن عباس قائلاً:«يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ

... وَ اللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً »(نهج البلاغه، ٥٣٩) صوّر الإمام علي عليه السلام في هذا النص، طلب عثمان منه في الرسالة التي أوكلها إلي ابن عباس(رضي الله عنه) بالجمل الناضح والجمل الناضح هو«الدّابّة يستقي عليها»(معجم الوسيط، ٩٢٨)فعثمان أراد من الإمام أن يكون طوعاً له في كل الأمور وأن يكون دوماً علي السمع والطاعة وأن يتحكم به وأن يقوده كيف ما شاء فالتشبيه يبين مدي جهل عثمان بمكانة الإمام عليه السلام والعمل علي سلب إرادة الإمام أذا استطاع أن يدخله في حوزته. فالتشبيه ينطوي علي استنكار الإمام للأفعال عثمان وماترتب عليها من تبعات أضرت بالمجتمع الإسلامي آنذاك ورغم ذلك دافع الإمام عليه السلام عن عثمان في وجه القتلة وأهل الفتن حتي خشي أن يكون آثما بدافعه عن موضع الخلافة.

في لوحة تشبيهية جميلة مغروسة من البئية العربية آنذاك شبّه الإمام علي عليه السلام قرابته ودنوه ومنزلته الروحية واطاعته المطلقة من النبيّ(ص) بالفصيل الذي يتبع أثر امّه فلايحيد عنها ابداً والتشبيه بالفصيل جاء ليعزز مكانة الإمام وقربه من النبي منذ نعومة إظفاره فهو ربيب الرسول ونبت في حضن فصاحته ورضع من لبن بيانه وتنشق عبير الهدي من دوحه الأعظم. كما يتغذي ويرضع الفصيل من لبن أمه ويتبعها دوماً فيتربي ويترعرع في كنفها فهذا التشبيه يبرهن علي المد النبوي والتواصل المباشر والقرابة الروحية ما بين الإمام علي عليه السلام والنبيّ(ص) منذ ولادته في الكعبة المشرفة وحتي استشهاده وتجسدت هذا المفاهيم بقوله:« وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني إلي صدره...ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به□(نقلا عن المعتزلي،٢٠٠٢، ١٣٨/١٣).

٦-٥- الدلالة السياسية

وصف الإمام علي عليه السلام في الخطبه الشقشقية حال الذين تزعموا قيادة الأمة بعد ما تخلوا عن وصيةالنبي(صلي الله عليه وآله وسلم) في يوم الغدير مبيناً في

هذه الخطبة حالاتهم وافعالهم وسلوكهم علي جميع المستويات قائلاً:«فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ(الخطبه٣ الشقشقية،٤٩)من التشبيهات اللطيفة التي أوردها الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة الشهيرة هو تشبيه الحالة التي رافقت الإمام علي عليه السلام طيلة اغتصاب الخلافة والحق الألهي منه بدعوة الشوري وغيرذلك بينما كانت خلافته منصوصة من قبل الله وبلغّها النبيّ(صلي الله عليه وآله وسلم)مرات وفي غدير خم كان تبليغها علي روؤس الأشهاد وشهد بذلك الداني والقريب بذلك. اتخذ الإمام من السكوت نهجاً حفاظاً علي دين الله ورسالة النبيّ لئلا يحصل تشتتاً وتفرقاً لكلمة المسلمين فكان سكوتاً حكيماً نافعاً حفظ به رسالة السماء ووئد بِهِ الفتن والتحزب والاقتتال.

قيل المراد (بالمشبه) أي بصاحبها هو أبوبكر الذي طلب الإقالة لثقل الخلافة وشدة مراعاة إجراء أحوال الخلق مع اختلاف طباعهم وأهوائهم علي قانون واحد -وذلك نتيجة عدم درايته الواسعة بتدبير أمورالخلافة وشؤون الخلق- وخوفه أن تعثر به مطايا الهوي فترديه في موارد الهلاك فيجتهد في الخلاص منها مهما أمكنه ذلك.لكن رغم ذلك الزعم تمسك بها ليوم وفاته وعقدها للآخر وتقمصه للخلافة أضجر وأنفر وفرّق جماعات كثيرة من الناس فمال الكثير منهم إلي حب الباطل وإغفالهم عن الحقّ وإن صعب فيكون في ذلك كمن أشنق الصعبة التي هو راكبها حتي خرم أنفها.(البحراني،١٩٩٩،ج١، ٣٢٥،مع تصرف مختصر)وقيل (المشبه) هو الضمير في صاحبها يعود إلي الحوزة المكنّي بها عن طبيعة عمر واخلاقه، والمراد علي هذا الوجه أنّ للصاحب تلك الأخلاق في حاجة إلي المداراة في صعوبة حاله كركب الصعبة، ووجه المشابهة أنّ راكب الصعبة كما يحتاج إلي التكلفة الشاقة في مداراة أحوالها فهو معها في خطرين إن والي الجذبات في وجهها بالزمام خرم أنفها، وإن أسلس لها في القياد تقحمت به المهالك، كذلك مصاحب أخلاق الرجل والمبتلي بها إن أكثر عليه إنكار ما يتسرع إليه أدي ذلك إلي مشاقته، وفساد الحال بينهما، وإن سكت عنه وترك ما يصنع أدي ذلك إلي الإخلال بالواجب وذلك من موارد التهلكة.وقيل (المشبه

)هوالضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كلّ من تولي أمرها إذا كان عادلاً مراعياً لحق الله،ووجه الشبهة براكب الصعبة أنّ المتولي لأمر الخلافة يضطر إلي الكلفة الشاقة في مداراة أحوال الخلق، ونظام أمورهم علي القانون وعلي الحق وأن يسلك بهم طريق العدل وإن أفرط في المحافظة علي شرائطها وأهمل أمرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة إلي عثمان حتي فعل به(التفريط)ما فعل. ورغم ذلك دافع الإمام علي عليه السلام عن عثمان ليس عن شخصية عثمان بل علي حفظ مقام الخلافة وكلمة المسلمين وفي بعض الخطب اعلن الإمام انزجاره وغضبه عن افراط عثمان في تيسير شؤون الخلافة والناس حتي قال:« وَ اللَّه لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً» وقيل أراد بصاحبها هو المشبه الإمام علي عليه السلام «نفسه وتشبّه براكب الصعبة لأنّه أيضاً بين خطرين،إما أن يبقي ساكتاً عن طلب هذا الأمر والقيام فيقتحم بذلك في موارد الذلّ والصغار، كما يقتحم راكب الصعبة المسلس لها قيادها. وإما أن يقوم فيه ويتشد في طلبه فينشعب أمر المسلمين بذلك وينشق عصاهم فيكون في ذلك كمن أشنق لها فخرم أنفها(البحراني،٣٢٦-بتصرف مختصر) ولذلك نستطيع أن نرسم الصورة التالية للتشبيه المذكور في كلام الإمام علي عليه السلام كالتالي:

في لوحة تشبيهية جميلة أخري مغروسة من البئية العربية آنذاك شبّه الإمام علي عليه السلام قرابته ودنوه ومنزلته الروحية واطاعته المطلقة من النبيّ(ص) بالفصيل الذي يتبع أثر امّه فلايحيد عنها ابداً والتشبيه بالفصيل جاء ليعزز مكانة الإمام وقربه من النبي منذ نعومة إظفاره فهو ربيب الرسول ونبت في حضن فصاحته ورضع من لبن بيانه وتنشق عبير الهدي من دوحه الأعظم. كما يتغذي ويرضع الفصيل من لبن أمه ويتبعها دوماً فيتربي ويترعرع في كنفها فهذا التشبيه يبرهن علي المد النبوي والتواصل المباشر والقرابة الروحية ما بين الإمام علي عليه السلام والنبيّ(ص) منذ ولادته في الكعبة المشرفة وحتي استشهاده وتجسدت هذا المفاهيم بقوله:« وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني إلي صدره...ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به□(نقلا عن المعتزلي،٢٠٠٢، ١٣٨/١٣).

نتيجة البحث

١-تميز أسلوب الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة بشيوع عناصر البيان فيه ولاسيما التشبيه، إذ التشبيه أظهر طرق التصوير التي يشبّه فيها النفسي أو العقلي بالحسيّ، فضلا عن بروز عناصر التصوير الحسّي من هيئة ولون وصوت وملمس وطعم، وإن كان للهيئات قصب السبق فيما اعتمد الإمام من أدوات الرسم، ولهذا كانت للصورة التشبيهيه الوليدة من رحم الطبيعة عنده ملامح بارزة مميزة فى وصفه كعمق الصورة وبُعدها عن السطحية، والتشخيص والتجسيد الذى أضفى جمالا على الصورة،فكانت تلك التشبيهات بمثابة لوحات متوالية كل منها يكاد ينطق روعة وإبداعا. وهذا يقتضي قدرة تخييليّة عالية تعرف خاصيات الأشياء، وتلحظ نواحي التشابه والتقارب بينها،مما أحدث هذا الأسلوب تجاذبا وتجاوبا مع قارئ النص.

٢- اجتاز الإمام في كثير من الأحيان الرأي المترسخ عن التشبيه القائل باقترانه بالوضوح الرامية للتقريب العلاقات بين الطرفين، وأورد تشبيهات عدّة خرج بذلك عن ذلك الرأي وأوجد علاقات بعيدة وخفّية بين الطرفين(المشبه والمشبه

به) فكان الإمام يرمي من خلال ذلك إلي التجدد رغم اصطدامه ومعارضة عقلية المجتمع المحيط به آنذاك.

٣-إن النصوص التشبيهية في نهج البلاغة هي نصوص انتاجية ابداعية محملة بالطاقة التوصيلية، فائقة في الدقة وفي الشكل فهي لوحات زاخرة بالمعاني تضاهي الطبيعة وجمالها.

٤-لغة التشبيه التي اعتمدها الإمام علي عليه السلام كإحدي الوسائل الناجعة في إيصال أفكاره ورسائله إلي المتلقي هي لغة ذات قدرة بلاغية هائلة من حيث الابتكارية والتوليدية علي صعيد المعني والأسلوب والبيان.

٥-شكلّ التشبيه بالحيوان لاسيما الإبل مصدرا الهاماً زاخراً للإمام علي عليه السلام في عملية الابداع النصي ومن ثم في عملية إيصال المفاهيم والرسائل التي يرمي إيصالها إلي المتلقي بدافع الإثارة والاقناع وتحريك الذهن.

٦-إنّ النص الأدبي في كلام الإمام هو نص مثقل بالفكر الثاقب والخيال الجانح وبالدلالات الغنية والصدق الفني الرفيع.

٧-ركز الإمام في تشبيهاته علي الصورة الحسية للمشبه به في الكثرة الكاثرة من المواضيع التي تناولها وذلك لتحديد المعاني والغايات والتغلغل في مخيلة المتلقي آنذاك الغارقة في الحسيات وإزالة الطبقات الكثيفة التي تحول بين فكر الإمام وفكر المتلقي.

٨-يعتبر الإبل من أكثر الحيوانات توظيفاً في كلام الإمام عليه السلام نظراً لأهميته البالغة عند المجتمع العربي آنذاك فاتخذ منه وسيلة أدبية لتصوير حالات ومواقف وسلوكيات حملت في كثير من الأحيان دلالات نفسية وتربوية، واجتماعية وسياسية.

قائمة المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن جني(د.ت): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، مصر، القاهرة.
- الأشتر صالح(١٩٩٤م):الحيوان في صوره الإنسانية،مجلة مجمع اللغة العربية،مجلد٦٩،العدد٣.

- الآمدي، الحسن بن بشر(١٩٧٢): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق سيد أحمد صقر، القاهرة، دارالمعارف.
- البحراني،كمال الدين بن ميثم(١٩٩٩م):شرح نهج البلاغة،بيروت، منشورات دار الثقلين.
- البرادعي محي الدين خالد(١٩٩٧م):الصورة الفنية في كلام الإمام علي عليه السلام، مجلة المنهاج، العددالخامس.
- التميمي، أركان(٢٠٠٤):صفوة شروح نهج البلاغة، بيروت، مؤسسة العارف للمطبوعات
- الجرجاني، القاضي(١٩٦٦):الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة البابي.
- الجرجاني، عبدالقاهر(١٩٨٨):اسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد رضا رشيد،بيروت، دارالكتب العلمية.
- جرداق،جورج(١٤٢٤ه):الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية، تحقيق حسن حميد السيد، بيروت، مطبعة ليلي.
- جرداق،جورج(١٩٩٧):روائع نهج البلاغة،بيروت،مركز الغدير للدراسات الإسلامية،مطبعة باقري.
- الحتّي حنّا نصر(١٤٢٦ه):الناقة في الشعر الجاهلي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحلي منذر إبراهيم حسين(٢٠٠٧):نقد صورة الحيوان الشعرية عند المعري،مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الرابع.
- الدميري، كمال الدين محمدبن موسي(٢٠٠٧):حياة الحيوان الكبري، بيروت، دار مكتبة الهلال.
- الركابي جودت(١٩٥٩م): الطبيعة في الشعر الأندلسي، سورية، جامعة دمشق.
- رومية، وهب(١٩٧٥): الرحلة في القصيده الجاهلية، اتحاد العام للكتّاب فلسطين.
- السكاكي أبو يعقوب يوسف(١٩٣٧):مفتاح العلوم،مصر، البابي الحلبي.
- شبكة الإمام الرضا عليه السلام ،(١٩٩٨):رؤية في أسلوب نهج البلاغة، المكتبة الإسلامية.
- الشهاوي صلاح عبدالستار(٢٠١٢):الإبل في التراث العربي والإسلامي-الإبل سفائن البدو ومهور الحرائر،مجلة الداعي الشهرية، دارالعلوم ديوبند،العدد٣
- الصالح صبحي(١٤١٨ه): . نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي الموسوي،دار الأسوة للطباعة والنشر.
- الصغير،محمد حسين(د.ت):أصول البيان العربي، لبنان، بيروت.
- الطيب،عبدالله(١٩٧٠): المرشد إلي فهم اشعار العرب وصناعتها، مصر ، القاهره.

- عبدالهادي عبدالرحمن علي(٢٠١٠):«الصورة الفنية في شعر علي بن محمد الحمداني الكوفي□مجلة دراسات الكوفة، العدد السابع،صص٥٥-٧٧.
- العسكري، أبو الهلال(١٤٢٤ه):جمهرة الأمثال، بيروت، المكتبة العصرية
- فاضلي،محمد(١٣٨٨هـ):دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة،مشهد،دانشگاه فردوسي.
- القزويني ، الخطيب(١٩٨٩):الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق عبدالمنعم الخفاجي،بيروت، الشركة العالمية للكتاب.
- القيرواني، ابوعلي الحسن بن رشيق(١٩٧٢): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، دارالجيل،
- المرتضي شريف(١٤٠٥ه):رسائل الشريف المرتضي، تقديم السيد أحمد الحسيني،قم، مطبعة سيد الشهداء.
- مشكور كاظم العوادي(٢٠١٠م):المعنى الحركي في بدائع الإمام علي (ع)بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية التربية الأساسية
- مصطفي، إبراهيم وآخرون(١٩٧٢م):المعجم الوسيط،تركيا، استانبول، المكتبة الإسلامية.
- مطلوب أحمد(١٩٨١م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،العراق، مكتبة المجمع العلمي العراقي.
- المعتزلي، ابن أبي الحديد(١٩٥٩م):شرح نهج البلاغة،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- المعتزلي،ابن أبي الحديد(٢٠٠٢):شرح نهج البلاغة،تقديم شيخ حسين الأعلمي،بيروت،مؤسسة الأعلمي.
- معروف، يحيي(٢٠٠٥م):الإبل في القرآن والأدب العربي-العصر الجاهلي نموذجاً، مجلة العلوم الإنسانيةالعدد١٢.
- عبيات، عاطي(١٣٩٠):«جماليات التغزل بالرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي□ فصيلة النقد والأدب المقارن، جامعة رازي،العدد٤،صص١٢٩-١٥١.
- الميداني(١٩٥٩م): مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مصر، مطبعة دار السعادة.
- الهاشمي أحمد(١٩٦٠):جواهر البلاغة، مصر، القاهرة.
- وساك، عبدالواحد خلف(٢٠٠٨):«أساليب بلاغية في وصية الإمام علي إلي إبنه الحسن عليه السلام» مجلة ميسان للدراسات الآكاديمية، المجلد٦.